الفصل الخامس
الاضطرابات النفسية الناتجة عن الحروب

تمهيد.

المبحث الأول:الاضطرابات النفسية الخاصة بالمشاركين في الحرب.

المبحث الثاني: مآسي المدنيين وخاصة الأطفال جرَّاء الحروب.

تمهيد:

هناك اضطرابات نفسية خاصة بالمشاركين في الحروب أي المقاتلين من الجنود والضباط، أو من يساعد المقاتلين في المعارك من غير المحاربين. فأول ما لاحظه المهتمون بالنواحي النفسية في هؤلاء المقاتلين هو شعور بعض المقاتلين بالإجهاد والإرهاق الشديد دون سبب واضح، ثم لاحظ المهتمون الصدمات النفسية التي يتعرض لها المقاتلون والتي قد تشل المقاتل عن أداء واجبه، وقد لوحظ هذا لأول مرة في الحرب الأهلية الأمريكية، حيث برزت أهمية الحالة النفسية للمقاتل، فليس المقاتل فقط بحاجة لحالة بدنية جيدة، ولكن يجب أن تكون الحالة النفسية للمقاتل جيدة حتى يستطيع تأدية واجبه القتالي، في هذه الحرب بدأ القادة العسكريون يعاملون المصابين باضطرابات نفسية بصورة جيدة.. ولا يعاملونهم كجبناء، وإنما يعاملونهم بصورة إنسانية رائعة.

في الحرب العالمية الأولى بدأ الطب النفسي العسكري يأخذ وضعه واهتم به الأمريكيون اهتمامًا كبيرًا.. خاصة موضوع القيادة، حيث واجهوا مشكلة قيادة الوحدات العسكرية الصغيرة، وبدأ التركيز على اختيار القادة، من يصلح لأن يكون قائدًا في المعارك ومن لا يصلح. قادة المعارك يجب أن يكونوا ذوي شخصية خاصة، على ثقة عالية بالنفس، وقدرة على ضبط النفس، مع الحزم والقدرة على اتخاذ القرار في الوقت المناسب. هناك شخصيات رغم قدرتها التنظيمية واهتمامها بالتفاصيل فإنها لا تصلح لأن تكون شخصية قيادية في المعارك.

مثال ذلك الشخصية الوسواسية القهرية، حيث تصلح الشخصية الوسواسية القهرية في الحياة العسكرية بشكل جيد بحكم طبيعة الميل للتنظيم والضبط والحب الكبير بترتيب الأشياء بدقة، والاهتمام بأدق التفاصيل، ومراجعة الأمور بصورة متكررة حتى يتفادى الخطأ لكن هذه الشخصية لا تصلح للقيادة في المعارك!..

الشخصية المندفعة أيضًا لا تصلح للقيادة أيضًا لما قد يرتكبه صاحب الشخصية المندفعة من تهور تحت مسمى الشجاعة، وإن كان أحيانًا هذه الشخصية مطلوبة في مواقف معينة، إلا أن هذا الأمر يحوي من الخطورة الأمر الكثير، لذا يميل الخبراء في علم النفس العسكري تجنب قيادة هذا النوع من الشخصيات للمعارك. الإدارة النفسية في الجيوش الأمريكية، وضعت نماذج لاختيار الشخصيات القيادية بين صغار الضباط، نظرًا لما واجهته القوات الامريكية في صعوبة اختيار القادة للوحدات الصغيرة اثناء الحرب العالمية الأولى، وعلمهم

بمدى أهمية هذا الأمر في المعارك العسكرية، تم وضع مجموعة من الاختبارات لتحديد قدرات الضباط على القيادة العسكرية والقيادة الإدارية والقدرة على التخطيط والقدرة على التعامل مع الآخرين، حتى يتسنى الاستفادة من الضباط بأقصى حد ممكن حسب قدرات كل واحد منهم مع عدم الخلط، وتهيئة كل ضابط للمهام المستقبلية منذ أن يكون في رتبة صغيرة، حتى لا يفاجأ الجميع عند الحاجة لهؤلاء الضباط في مهام قتالية، ويبدو أن الولايات المتحدة الأمريكية عرفت منذ زمن طويل بأن القوة العسكرية هي أفضل من يقود المصالح الأمريكية ويحميها رغم كل القوانين الدولية والأعراف العالمية وحقوق الإنسان، ولاتزال الولايات المتحدة من أكثر الدول في العالم في إجراء أبحاث نفسية في المجال العسكري، وفي علم النفس العسكري، والطب النفسي العسكري..! تليها في هذا المجال دولة إسرائيل.. حيث دأب الصهاينة على عمل أبحاث نفسية عسكرية، حتى قبل إنشاء دولة اسرائيل..! ولا يزال معهد الطب النفسي التابع لجيش الدفاع الإسرائيلي يقوم بعمل أبحاث نفسية عسكرية حتى الآن مع الانتفاضات الفلسطينية وعمليات المقاومة..! وحتى الآن لا تمر مناسبة إلا يذكّر الإسرائيليون العالم بمحرقة الهولوكوست في أكثر المجلات الطبية النفسية ومجلات علم النفس وتأثير ذلك على الذين نجوا من المحارق في الحالات النفسية، وهذا طبعًا ينطبق في الفن، حيث لا يمر عام إلا ينتج اليهود فيلمًا عن الهولوكوست، ويكون هذا الفيلم مرشحًا للأوسكار في هوليوود!..
إنه الإيمان بدور الطب النفسي العسكري والحرب النفسية الذي يُدرس كعلم ويُمارس باحتراف شديد في هذه الجيوش!..

المبحث الأول
الاضطرابات النفسية الخاصة بالمشاركين في الحرب

إرهاق المعركة.

عُرف هذا الاسم في الحرب العالمية الثانية فقد كان الاسم الذي اطلق على الإصابات النفسية أثناء المعارك هو "إرهاق المعركة".. حيث كان معظم الذين أصيبوا نفسيًا في هذه المعارك هم من الذين يُعانون من الإرهاق الشديد وعدم القدرة على مواصلة القتال، وشكاوى جسدية من آلام متفرقة في مختلف أنحاء الجسم دون وجود سبب عضوي يؤكد هذه الآلام، والتي تعرف بالآلام النفسية. في الحرب العالمية الثانية كان الاهتمام أكثر بالإصابات النفسية أثناء المعارك، حيث شكلت الإصابات النفسية نسبة كبيرة من الذين لم يستطيعوا مواصلة القتال وأخذت الإصابات النفسية في المعارك دراسات مستفيضة من جميع الجيوش المشاركة في هذه الحروب، وكما ذكرنا سابقًا فإن القوات الأمريكية كانت هي الأكثر اهتمامًا في هذا الجانب. كانت الإصابات النفسية للمقاتلين الأمريكيين في الحرب العالمية الثانية قد بلغت حوالي ٢٣% من إجمالي الإصابات في الحرب.

المشكلة كما هي في بعض الإصابات العضوية، فإن المشاكل النفسية لا تنتهي بانتهاء الحرب وإنما يمتد أثرها إلى بعد ذلك بكثير.. ربما سنوات طويلة، فكثير من الذين تعرضوا لمشاكل نفسية أثناء الحروب.. ظلت المشاكل معهم بقية عمرهم.. بعضهم ساءت حالته أكثر.. وأصبح الكثير منهم مدمنين على المخدرات والكحول وانتهى المطاف ببعضهم في المصحات النفسية كمرضى نفسيين مزمنين، يتعاطون أدوية نفسية لفترات طويلة نتيجة إصابتهم باضطرابات نفسية وعقلية. بعض من هؤلاء المرضى أنهى حياته نتيجة الحالات النفسية التي يعاني منها. وفي دراسات كثيرة على المقاتلين الذين شاركوا في حرب فيتنام، كان عدد من هؤلاء المقاتلين الذين مرّوا بظروف صعبة واضطرابات نفسية أثناء المعارك في حرب فيتنام أمضوا بقية عمرهم مرضى نفسيين وعقليين ومدمني مخدرات وكحول..! وقد ظهر كثيرًا هذا في أفلام سينمائية وروايات عن هذه الحرب الطاحنة التي خاضتها الولايات المتحدة الأمريكية ضد دولة صغيرة.. ولكن مازالت ويلات هذه الحرب تلاحق بعض من شاركوا فيها باضطرابات نفسية وعقلية حتى الآن كما يظهر ذلك في

الأبحاث التي تُنشر في المجلات الطبية المتخصصة وأيضًا في الروايات والأفلام!..
كذلك فإن هذه الاضطرابات النفسية أثرت سلبيًا على الحياة الاجتماعية لهؤلاء الاشخاص، فأكثرهم انتهت حياته الزوجية بالطلاق بمشاكل زوجية صعبة وتشرد الأطفال، ويُعزى ذلك إلى المشاكل النفسية التي عاناها هؤلاء أثناء الحرب التي خاضوها وشاركوا بها..
يمكن للاضطرابات النفسية أثناء الحرب أن تقلل قدرة الوحدات القتالية بنسبة ٩٠%، خاصة إذا كانت هذه الاضطرابات النفسية شديدة، وهذه الدراسات من الأبحاث التي أجراها أطباء نفسيون إسرائيليون خلال الحرب الإسرائيلية في لبنان عام ١٩٨٢م عندما اقتحم الجيش الإسرائيلي لبنان وارتكب من الجرائم البشعة الشيء الكثير، وهذه الأبحاث نُشرت في مجلات علمية لها قيمتها العلمية على المستوى العالمي.
أيضًا من المشاكل التي يُعاني منها بعض الذين مروا بمشاكل نفسية اثناء الحروب، هي مشكلة العدوانية تجاه الآخرين، وكثيرًا ما كان الذين يرتكبون جرائم قتل غير مُبررة وتتسم بعدوانية شديدة جدًا هم من الذين عانوا من مصاعب نفسية أثناء اشتراكهم في معارك عسكرية، وهذا حدث مع بعض الذين شاركوا في حرب فيتنام، حسب ما ذكرت الدراسات النفسية الأمريكية.
من أكثر الاضطرابات النفسية التي ترافق الحروب هو القلق والقلق الذي نتحدث عنه هنا هو الشعور بالخوف من شيء غير معروف.. مع اضطراب في النوم، وأحلام مزعجة جدًا وكوابيس مُخيفة، تجعل الشخص يستيقظ من نومه فزعًا. كذلك يشعر الشخص بالإرهاق الشديد، وعدم القدرة على التركيز، وازدياد ضربات القلب، والتعرق الغزير، خاصة في اليدين والقدمين. كذلك يشكو الشخص من الرجفة في اليدين، وأحيانًا شعور داخلي بالارتجاف، وكثيرًا ما يشكو مثل هذا الشخص من الصداع المزمن، والذي لا يستطيع الشخص تحديد مكانه بصورة دقيقة، فيكون صداعًا عامًا، يُعرف بأنه ذو سبب نفسي.
كذلك يشكو الشخص من آلام في البطن بصورة لا تتفق مع الأمراض المعروفة والتي تُسبب أمراضًا معروفة.. لكن شكوى الشخص القلق من آلام البطن تكون غير محددة أيضًا ولا تستجيب للادوية الخاصة بآلام البطن..! بل ربما تستجيب للأدوية المضادة للقلق بشكل جيد!..
آلام متعددة في الجهاز البولي، حيث يُعاني من مشاكل في البول.. مثل كثرة التبول، والشعور بالحاجة للتبول بصورة مُتكررة، رغم عدم امتلاء المثانة ولكن نتيجة القلق فإن نهايات الأطراف العصبية في المثانة تشعر بالامتلاء دون

وجود امتلاءحقيقي في المثانة. كذلك يُعاني هذا الشخص من بعض المشاكل الجنسية، خاصة بالنسبة للرجال، فقدان الرغبة الجنسية، وأيضًا عدم القدرة على ممارسة الجنس، وهذا قد يُسبب مشاكل اجتماعية..! أيضًا بالنسبة للمرأة يجعلها لا تميل للجنس وتُعاني من برود جنسي، وهذا قد يتسبب في مشاكل اجتماعية بين الزوجين.

الاضطرابات التحولية.

هناك اضطرابات تُعرف بالاضطرابات التحولية (كانت سابقًا تُسمى الاضطرابات الهستيرية). في هذه الاضطرابات والتي كثيرًا ما تحدث في الحروب، مثل الشلل النفسي حيث يُصاب الشخص الذي يخوض المعركة بشلل لا يستطيع معه الحركة، رغم عدم وجود أية إصابات عصبية في الجهاز العصبي.. وإنما هذا الشلل هو نفسي، ولكن يحتاج إلى علاج نفسي، أحيانًا يكون مُكثفا ويستغرق وقتًا، حيث لا يُدرك الشخص بأن هذا الشلل ليس عضويًا، وانما يُصر على أن ما حدث له هو أمر عضوي، ويستبعد أية مشاكل نفسية. هذا الشخص يحتاج إلى علاج نفسي، وربما إلى جلسات باستخدام بعض الأدوية التي تساعد المريض على التحدث بما في داخله مما في العقل الباطن!.. كذلك العمى النفسي.. حيث لا يستطيع الشخص أن يرى، رغم عدم وجود أي سبب عضوي لهذا العمى.

الاكتئاب.

الاكتئاب طبعًا واحد من الاضطرابات النفسية التي تُصيب كثيرًا من الأشخاص الذين يُشاركون في الحروب، خاصة إذا كان المقاتل غير مُقتنع بما يقاتل من أجله، لذلك يأتي الدور المهم التحضير النفسي للمقاتل، وتغيير فكره تجاه ما يقاتل من أجله، وهذا لاشك عمل مهم وشاق، لأن فقدان الإيمان بالقضية التي يقاتل من أجلها المرء تجعله عرضة للإصابات بالاكتئاب بصورة شديدة، والاكتئاب مرض خطير، معروف، ولكنه إذا تمكن من المقاتل، فإنه قد يعود إلى كارثة.. حيث يمكن للمكتئب أن يقوم بكارثة، مثل قتل نفسه وقتل زملائه في الوحدة العسكرية.. وهذا حدث في بعض الحروب. لذلك فإن تقييم المقاتلين، واكتشاف الاكتئاب أمر في غاية الأهمية للوحدة التي يعمل بها هذا المكتئب.

هناك اضطراب نفسي مهم جدًّا يحدث في الحروب، وكانت تسميته نتيجة الإصابات النفسية بعد الحروب. لقد دار في أذهان البعض بأن الحرب أوشكت على الانتهاء. ربما يكون هذا الأمر صحيحًا.. عسكريًّا لكن ما يترتب على هذه

الحرب التي حدثت في العراق نفسيًّا واجتماعيًّا سوف يستمر ربما عقودًا من الزمن حتى نستطيع الخروج من هذه الأزمات النفسية والاجتماعية.. وسوف نتحدث عن هذا في المستقبل.

هلع الجنود في الحروب:

كل الحروب بلا استثناء تُدخل الهلع في النفس.. لكن هلع الجنود على أرض المعركة من نوع آخر، حقيقي، تنهار معه الأعصاب من شدة الأهوال والضغط النفسي الرهيب الذي يولد انفلاتًا لا يمكن التحكم فيه يطلق عليه خبراء علم النفس العسكري "هوس ميادين القتال". وهو قد يكون مؤقتًا أو مزمنًا بحسب الحالة. وينجم عنه حالات انتحار، أو إطلاق النار على الرفاق، أو الهروب من أرض المعركة، أو الاستسلام بدون شروط، وبدون وجود ظروف موضوعية تستدعي الاستسلام.

هذا تحديدًا ما فعله الجندي الأمريكي عضو الفرقة ١٠١ المحمولة جوًّا بالكويت، الذي اعتبر زملاءه من الجنود الأمريكان في بداية حرب الصدمة والترويع بمثابة أعداء، فألقى عليهم قنبلتين قتلت أحدهم وأصابت ما يقرب من ١٧ آخرين قبل أن يتم اعتقاله وإبعاده عن ميدان القتال، أي بإعادته مرة أخرى إلى الولايات المتحدة الأمريكية.

فهل هذا مرض نفسي - عسكري؟

بغض النظر عن حادثة الجندي الأمريكي السابق الإشارة إليه والذي ألمح قادته إلى أنه مسلم، فتلك الظاهرة موجودة ويعرفها العسكريون جيدًا.ويذكر الفريق سعد الدين الشاذلي رئيس أركان القوات المصرية إبان حرب أكتوبر المجيدة في مذكراته التي احتواها مجلد ضخم: أنه مساء الخامس من أكتوبر عام ١٩٧٣م فوجئ بأحد مساعديه يخبره بأن مجندًا يبكي بحرقة ويرفض الانضمام إلى زملائه في عبور قناة السويس. هنا أمر الشاذلي بحنكة عسكرية بإرجاع الجندي إلى القاهرة فورًا وكتمان الأمر تمامًا حتى لا تؤثر هذه الحادثة على الروح المعنوية لزملائه من الجنود. المسألة إذن سيكولوجية بحتة، وفيما يشبه الغريزة داخل الإنسان الذي يخشى تلقائيًا الموت ومخاطره.

يقول الدكتور فكري عبد العزيز خبير الطب النفسي: المسألة شائعة، خاصة مع نقص الإيمان بالله، وعدم تنمية الوازع الديني. واضاف أنه لمس ذلك بنفسه اثناء حرب أكتوبر المجيدة حيث كان كبير الأطباء العسكريين.

وفي "الثغرة" ظهرت حالات هلع. وعندما توقف القتال إثر التوصل إلى هدنة مع الإسرائيليين التزم الجانب المصري ولم يلتزم بها اليهود، فكان الجنود

المصريون يتعرضون للقصف من جانب واحد، رغم قرار وقف إطلاق النار. وهذا ولَّد شعورًا بالقهر في صفوف الجنود العاجزين عن الرد.. وظهرت حالات فقدان للنطق والبصر والخوف والبكاء الشديد. ظهرت كذلك في هذا الوقت حالات اضطرابات النوم وإصابات اكتئاب وكلها أمراض عصابية عالجنا حالات كثيرة منها.

انعكاسات عصبية..

هذه الأمراض تسمى أمراض عصاب الحرب وتنشأ نتيجة قسوة الظروف المحيطة ووحشيتها في بعض الأحيان. إذ يحدث ما يعرف بتدهور الشخصية نتيجة رؤية الدماء والجثث والأشلاء والخراب والدمار.. ناهيك عن أن بعض الجنود لا يتورعون عن التمثيل بجثث جنود أعدائهم أمام زملائهم وتلك كلها مواقف صعبة بالتأكيد.

وضح الدكتور فكري عبد العزيز ان أبرز مثال على ذلك تجده في الحرب العالمية الثانية، فقد ظهرت مجموعة كبيرة من الأمراض النفسية بين الجنود واعتبر علماء النفس أن هذه الأمراض بمثابة نوع من أنواع الهستيريا كانت مرتبطة بالنساء فقط. واللفظ نفسه أصله اللغوي "هيسترس" والتي تعني في اللغة اللاتينية "رحم". فالنساء رقيقات بطبعهن، وعندما يتعرضن لمواقف مؤلمة يهربن وتحدث لديهن انعكاسات عصبية ونفسية شديدة يفقدن معها القدرة على الكلام يُصَبن بإغماء، أو شلل مؤقت.. إلخ لكن العلماء اكتشفوا أن المجندين في الحروب يصابون بالأعراض نفسها ويكون رد فعلهم الهروب النفسي والجسدي رفضًا لخوض المعارك، أو الاستسلام غير المشروط خوفًا من القتل المتصور، أو إطلاق النار على الزملاء عند أول بادرة خلاف، حيث العصبية الشديدة هي سيدة الموقف. وفي حالات أخرى الانتحار هروبًا من تجرع الموت وعذاباته على أيدي جنود الاحتلال الأعداء.

ويفسر الدكتور عادل صادق الظاهرة بقوله: وقت الحرب تتزاحم داخل الإنسان مشاعر شتى مثل الخوف، والقلق، وفقدان الثقة، والعجز، وإحساس بالدونية، وتقليل من شأن النفس، وذعر، وغضب،وأسى، وإحساس بالضعف والاستهداف، وقلة حيلة، وإحباط.. كل هذا يولد انفلاتًا سيكولوجيًا، لا يخضع معه الإنسان "الجندي" لحسابات العقل والمنطق المعروفة بعيدًا عن ميادين القتال. خاصة مع حدوث جرعة زائدة جدًا من العنف يحدث معها أشياء غير متخيلة كالتبول اللاإرادي قضم الأظافر حتى الانتحار.

هذه الأعراض من الأمراض النفسية الهيستيرية تصيب خصوصًا المقاتلين الرومانسيين أي الحالمين غير المقتنعين بجدوى الحروب، وما تحمله من دمار

شامل. وفي الحروب الدائرة بالعراق هناك حالات قتل فيها جنود أمريكيون زملاءهم، أو جنود أمريكيون قتلوا جنودًا بريطانيين مع أنهم حلفاء. لكن ذلك لا يُعلن عنه بالطبع. وبالتأكيد حدثت حالات انتحار، لأن هؤلاء جميعًا ليست لهم قضية يدافعون عنها، وكل ما يقولونه لأنفسهم "لقد صدرت إلينا الأوامر بحمل السلاح وخوض المعركة بعيدًا عن أوطاننا بآلاف الأميال ". ولِمَ كل هذا؟

هذا ما يشدد عليه أيضًا اللواء طيار أركان حرب "متقاعد" سمير عزيز الذي خاض كل الحروب المصرية الحديثة بدءًا من حرب اليمن مرورًا بنكسة ١٩٦٧م وحرب الاستنزاف وانتهاء بحرب أكتوبر عام ١٩٧٣. إذ يؤكد: على مر الحروب التي دخلتها لم أشهد حالة انتحار واحدة في صفوف الجنود. كانت المسألة مختلفة تمامًا. كنا نرمي بأنفسنا في النيران لأننا كنا نؤمن بحقنا في تحرير أرضنا. ومن الأشياء المهمة جدًا في الحروب والمعارك قضية الإيمان بالله وبالهدف الذي نسعى وراءه. هذا يختلف تمامًا عن مسألة احتلال أرض الغير وقتل وإيذاء شعب ظلمًا. ففي الأولى روحك المعنوية ثابتة عالية ونفسك مستقرة. أما في الثانية فيدخل الله على قلبك الرعب وتفقد أعصابك.. المسألة مسألة إيمان، لا تنسَ ذلك..وأشار إلى انه أثناء حرب ١٩٧٣كان يستقل الطائرة ومعه قائد سرب وكنا رابضين على الأرض وتساقطت عليهما قنابل موقوتة. وسارعا بالابتعاد عنها لكن القائد أصر على أن يذهبا صوب القنابل مرة أخرى وفي ذلك الوقت كانا على يقين تام بأن العمر واحد والرب واحد. وأنه إذا كان مقدرًا لهما الموت فإنهما سوف يموتان. وبالفعل ذهبنا وعدنا أمام مئات الجنود الذين ارتفعت روحهم المعنوية وهم يرون قادتهم لا يخشون شيئًا والأهم من ذلك أن بداخلهم كان يقين لا يتزعزع أنهم أصحاب حق وأن حربهم ليست بغيًا وعدوانًا.

لكن لماذا يحدث الهلع غير المبرر أحيانًا؟ يجيب اللواء سمير عزيز أن: الأعصاب تكون مشدودة أثناء المعركة. هناك خوف من الموت، أو الخطأ. أوالارتباك.

أهوال الحرب تزعزع التماسك سواء داخل الجيش أم بين صفوف الشعب. ولكن لن يتزعزع الإيمان لو أن هناك قضية حقيقة تحارب من أجلها.

الضغط النفسي يولد الانفجار.

بدوره يؤكد اللواء أركان حرب صلاح المناوي أن الضغط النفسي الرهيب الذي يتعرض له الجندي على جبهة القتال يولد انفجارًا لكن في أي اتجاه؟.. هروب.. انتحار.. استسلام.. انهيار.. اكتئاب.. سعي إلى الخلاص من

المأزق بأي طريقة. خاصة إذا لم تكن هناك قضية تستحق الموت في الميادين. هذا النوع من الجنود الذي أتحدث عنه شخصية ضعيفة مهدمة يصاب بالفزع الشديد عادة ما يتندر عليه زملاؤه ويعمقون الإحساس لديه بأنه جبان. لا يقوى على رؤية الجثث محطمة وممزقة. لا يقدر على ذلك كل الناس. ومن يستوعب ذلك قد يتحول إلى قاتل متوحش لديه دافع قوي هو الانتقام.

وبالنسبة للمارينز الأمريكان هم جنود محدثون غير محترفين أفهموهم أن حرب العراق نزهة ممتعة. لم يقاتل أحدهم ولا مرة واحدة. ليست لديه خبرة بالحروب. بل إنني أشك أنه شاهد ذات مرة دجاجة تذبح. فكرته عن الحرب يستمدها من أفلام هوليود. تعجلوا في الدفع به إلى ساحة القتال. لم يكملوا تدريبه. وحتى تدريبه القليل غير كاف لخوض الحرب لأنه لم ير أية جثث على الطبيعة. وقد يكون من زنوج الولايات المتحدة الأمريكية أو فقرائها، ولم تتم تهيئته نفسيًا للحرب. وهذا يفسر سذاجة التبريرات التي يسوقها الأمريكيون عن قتلاهم في الحرب والتي يرجعونها إلى ما يطلقون عليه "النيران الصديقة"!وأضاف اللواء صلاح المناوي :على النقيض من ذلك. انظر إلى الجنود العراقيين وإلى مستوى أدائهم ومقاومتهم في هذه الحرب. وانظر إلى نفس هؤلاء الجنود قبل ١٣عامًا أثناء عدوانهم على الكويت في أغسطس عام ١٩٩٠م آنذاك كان أداؤهم العسكري مهزلة بكل المقاييس كانوا مكشوفين في الصحراء لم تكن لهم قضية. حياتهم انقلبت إلى فزع رهيب. استسلم الكثيرون منهم بدون أن يُطلق رصاصة واحدة وهرب بعضهم ليقع في الأسر، ولا نعرف عدد من قتل زملاءه أو حاول الانتحار. وإذا كنت تتذكر، آنذاك كان المشهد في مجمله مهينًا. ويقول الدكتور إسماعيل يوسف أستاذ الطب النفسي بجامعة قناة السويس: إن أعراض المرض على ما اعتقد منتشرة بين كثير من العراقيين، وهم لا يدركون ذلك. فرواسب الحروب التي خاضوها جعلتهم عرضة للإصابة بأمراض عدة، نفسانية في الأغلب الأعم. وأشار إلى مرض يطلق عليه اضطراب ما بعد الصدمة، أو اكتئاب ما بعد الصدمة، الذي يصيب هؤلاء الذين نجوا من الأمراض الأخرى على جبهات القتال. ويستطرد، بل إن المرض يصيب أشخاصًا آخرين لم يشاركوا في العمليات العسكرية على جبهات القتال - مدنيين مثل أطفال فلسطين، ونسبة الاضطرابات النفسية بينهم مرتفعة تصل إلى ٧٠% ٨٠% بسبب العنف اليومي الذي يمارسه الإسرائيليون ضدهم.

اضطراب الصدمة.

يؤكد الدكتور إسماعيل أن مرض صدمة مع بعد الحرب لم يكن معروفًا منذ زمن طويل، وتمت تسميته بعد أحداث ١١سبتمبر. فالمرض كان موجودًا

قبل هذا التاريخ. لكن العلماء لم يطلقوا عليه اسمًا.. وفي حالة العسكريين تكون الأعراض أشد وطأة: آلام نفسية رهيبة تمتد إلى ما بعد انتهاء الحرب. كالخوف المرضي وهو عرض نفسي. كأن يسمع المريض صوت طلق ناري فيفزع، أو صوت أزيز طائرة فيلجأ إلى الهروب والبحث عن مكان للاختباء. لأن الأثر النفسي كامن بداخله، رغم أن الحرب انتهت. ويصاحب هذه الحالة أعراض كثيرة كارتفاع ضغط الدم وزيادة ضربات القلب واحمرار الوجه. وقد يصل الأمر إلى التبول اللاإرادي والكوابيس أثناء النوم. ويحدث ما يسمى بتدهور الشخصية. وتنقلب الحال إلى حزن دائم وانسحاب اجتماعي وتغير في تماسك الشخصية واللامبالاة وفقدان الشهية. وبعض الحالات التي عاشت طويلًا تحت تأثير الحرب تهذي وتصاحبها اختلالات وهواجس وأفكار سيئة ومعتقدات خاطئة.

وفي حالات الحروب وبسبب العنف الزائد يتحول الإنسان إما إلى الوسائل الدفاعية اللاشعورية، أو إلى العدوان والقتل والاعتداء على الآخرين. وأحيانًا الاكتئاب الذي يتمثل في إهمال المظهر وفقدان الرغبة في تناول الطعام وتوجس الشر من المحيطين به فينظر إلى أقرانه باعتبارهم أعداء ويضربهم بلا هدف أو سبب. كل هذا مبعثه التوتر الشديد وعدم الاتزان وفقدان الشخصية التي يحدث لها نوع من النكوص الشديد، فتقدم على أي شيء مع الوضع في الاعتبار أن هذا لا يحدث للشخصية السوية، بل للشخصية المستعدة نفسيًّا لذلك. وضح اللواء محمد علي بلال قائد القوات المصرية في حرب الخليج الثانية من واقع خبرته الميدانية أن الجندي ينتابه الخوف والهلع والرعب في ساحة القتال، ربما بسبب الحرب النفسية، أو للخطأ البشري نتيجة الإرهاق المزمن على الجبهة، حيث يفاجأ بأشياء لم يكن يتوقعها ولم يدرب نفسه "سيكولوجيًا" عليها لعدم علمه بها، كأن يفاجأ بمقاومة في طريقة فيطلق عليها النيران بينما هي في الحقيقة قوات صديقة. واثناء حالة حرب العراق، ومع وجود عمليات استشهادية تسيطر الفوبيا على عقليات الجنود الذين تهيمن عليهم فكرة الموت بطريقة مرضية. خاصة إذا كان الجندي مرهف الحس، خبرته بالحياة معدومة قليلة، انطوائيًّا، يعيش طول الوقت في خوف وترقب. هنا يصبح بيئة خصبة ومرتعًا للهلس وأفكار سوداء تؤدي به إلى نتائج خطيرة يكون هو ضحيتها، أو زملاؤه الذين يحاربون معه على الجبهة.

المبحث الثاني
مآسي المدنيين وخاصة الأطفال جرَّاء الحروب

إن ظروف الاحتلال والحروب والصراعات لاتستثني الأطفال؛ وإنما هم أكبر ضحاياها على كافة الأصعدة؛ فالشظايا تتساقط عليهم من السماء، والقذائف تخترق الممرات والدروب، والمياه الصالحة للشرب تنقطع تلوث، والمؤن تنفد، وبذلك يقعون فريسة الموت البطيء المفاجئ، أو على الأقل يتعرضون للمخاوف، أو التشرد الذي يرسم جراحًا لا تندمل في شخصيتهم.

إن الألغام المزروعة في المحيط الذي يرتاده الأطفال لإشباع حاجتهم إلى اللعب والاستكشاف، تشكل خطورة كبيرة على حياتهم. فقد يفقدون حياتهم يصابون بالجروح وهم يلعبون يتعرضون لفقد بعض أطرافهم؛ مما يجعلهم في حالة عجز دائم. وتفيد الإحصائيات التي تمت في مستشفى "هارجيزا" Hargeisa بشمال الصومال أن ثلاثة أرباع ضحايا الألغام هم أطفال تتراوح أعمارهم مابين ٥ و ١٥ سنة.

وفي يوغسلافيا السابقة، فإن المستشفيات كانت تستقبل كل يوم طفلين على الأقل من ضحايا الألغام التي تبتر بعض أعضائهم، مما يؤدي بهم إلى أن يصبحوا طيلة حياتهم عاجزين، يصعب عليهم التنقل والعمل في المستقبل وكذا الزواج وممارسة الحياة الأسرية السوية، وبكلمة واحدة، فإنهم يصبحون أشخاصًا غير قادرين على ممارسة الحياة بشكل عادي ؛ مما قد يعرضهم إلى الانحراف والعنف، كرد فعل لما مورس عليهم من قبل المجتمع الذي لم يرحم ضعفهم.

خلال العشرين سنة التي عرفتها الحرب في أفغانستان تعرض جيلان من الأطفال للصراع والعنف والموت أحيانًا؛ مما حرمهم من الاستمتاع بطفولتهم في أمن وأمان وحرمهم كذلك من التربية والتعليم، مما جعلهم يفقدون الأمل في المستقبل.

إن الانعكاس المباشر، أو غير المباشر للصراع والحرب والمنازعات على الأطفال في ذلك القطر، أدى بنسبة ٢٥% منهم إلى الموت قبل بلوغ سن الخامسة من أعمارهم، مما مثل المرتبة الرابعة في نسبة الوفيات في العالم. كما أن نسبة ٥٠% منهم كانت تشكو من سوء التغذية. في حين نجد أن ٧٥% من الأطفال الأفغانيين لم يحصلوا على العلاج الضروري ولم يتوفر لهم الماء الصالح للشرب. وقد كان في وضعية اللاجئين ما يقرب من المليونيين. ولم يلتحق بالمدرسة سوى أقل من ١٠% من الفتيات و ٤٠% من الفتيان.

إن ٤٠% من أطفال مدينة كابول وحدها فقدوا على الأقل أحد الأبوين. كما أن الصراع خلف ما يقرب من ٧٠٠٠٠٠ أرملة. وكان ٥٠٠٠٠ طفل يملن شوارع كابول هم المعيل الأساسي لأسرهم، في بلد لا يبلغ فيه معدل الحياة سوى ٤٦ سنة، وهي أقل نسبة في العالم.

إن الأضرار المادية للاحتلال والحروب والمنازعات يمكن قياسها وتقييمها؛ كما يمكن إلى حد ما تعويضها على المدى القريب البعيد. غير أن انعكاساتها النفسية على الأفراد يعتبر أمرًا في غاية الصعوبة. ومهما يكن من أمر، ورغم ندرة الدراسات النفسية التي اهتمت بالانعكاسات النفسية للاحتلال والحروب على المدنيين بوجه عام وعلى الأطفال الصغار بوجه خاص، فإنه لايمكن إغفال حقيقة استيطان العديد من الاضطرابات النفسية في شخصية الطفل واستحكامها في نفسيته، لغياب الدلالة والمعنى لديه، وعجزه عن تفسير الوقائع والأحداث التي يدركها. إن الصدمات النفسية التي يتعرض إليها الأطفال خلال الحروب والمنازعات تؤدي إلى اختراق "الحاجز النفسي للمنبه" وتحدث صدعًا فيه، نتيجة ما يغمره من قدر هائل من الانفعالات المضطربة والإدراكات المشوهة والمتطلبات المعرفية الضاغطة.

إن خطورة الاضطرابات التي تصيب المجتمع في كافة مرافقه وحياته ونظام إيقاعه خلال الاحتلال، أنها تصبح نسيجًا مكونًا لبنية شخصية الطفل وتكوينها العام. حيث يفتح الطفل عينيه على مظاهر العنف والعدوان ويعتقد أنه سلوك طبيعي وعادي، ومن ثم يعيد إنتاجه في سلوكه وتصرفاته.

أما الخطورة الثانية، فهي أن الظروف الأسرية والاجتماعية غير المستقرة تنتج شخصيات غير متكيفة، نفسيًا واجتماعيًا. ويترجم سوء التكيف النفسي والاجتماعي في العديد من مظاهر السلوك المرضى والخطير أحيانًا، والأقل خطورة أحيانًا أخرى؛ وهو سلوك مبنين Structuré في الشخصية ومرتبط بتنظيمها العام.

تنتج صعوبات التكيف الاجتماعي، وسوء التوافق النفسي مع الذات، من واقع حياتي ميز مسيرة الحياة الأسرية والاجتماعية: اضطراب العلاقات القائمة بين أفراد الأسرة؛ وخاصة الأبوين؛ مما ينعكس بشكل مباشر على تكوين شخصية الطفل؛ حيث يفترض النمو السوي وجود تناغم وتفاهم، يتميز بالدفء الأسري، الذي يغمر الحب العلاقات بين أفراده، ولعل اضطراب الهوية، هو السمة المميزة لشخصية الأطفال الذين تعذر عليهم تكوين صورة واضحة المعالم، عن دور الوالدين، كما لم يستطيعوا التوحد بشخصهما وأدوارهما الاجتماعية، لغياب أحدهما هما معًا، بسبب السجن النفي القتل ...إلخ.

إن اضطراب الهوية يفقد الطفل المراهق القدرة على السيطرة على نوازعه الذاتية، بفعل فقدان دور المنظم السلوكي، الذي يمثله الأب المفقود.
إن الانعاكاسات السلبية للاحتلال على شخصية المدنيين أطفالا كانوا راشدين، لا تقصر على الاضطرابات النفسية، وإنما تشمل أيضا الاضطرابات الجسدية. ذلك أن الإنسان يشكل وحدة متكاملة، تشمل الجسم والنفس معا، في تفاعل دينامي مستمر، ويظهر تأثر الجسم ومختلف أعضائه بالأعراض النفسية في ما يسمى بالأمراض" النفسية الجسمية Psycho- Somatique؛ بحيث تؤثر في القلب والشرايين، ويصاب الفرد بالقلق المزمن، وارتفاع ضغط الدم والشرايين، وانفجار الشرايين في الدماغ، وغيرها من الأمراض الأخرى التي تفتك بقواه الجسمية والنفسية؛ من جراء اجتراره لمرارة الهموم والأحزان، والإحساس بالظلم والهوان.
وتجدر الإشارة إلى أن تأثير الاحتلال أو الحرب ليس تأثيرًا آنيًا كما قد يعتقد، وإنما يمتد ذلك إلى أجيال وأجيال عديدة. كما يمكن أن تظهر هذه الآثار وتجسد عبر ظهور حالات مختلفة يتأثر بها المجتمع ككل. وهي ذات مظاهر نفسية وعصبية وجسمية.
تبين الدراسات التي تمت خلال تشخيص المظاهر والآثار النفسية التي ظهرت لدى الأطفال إبان غزو الكويت، ظهور الأعراض التالية لديهم.
الشعور بغياب الأمن والأمان. الشعور بالغضب. القلق الزائد على الوطن. نقص الحيوية. نقص الاهتمام بالأنشطة المختلفة. نقص الرغبة في اللعب. الأحلام المزعجة. الخوف من الظلام. التشتت وصعوبات التركيز. صعوبات تتعلق بتناول الطعام (نقص الشهية زيادتها، العزوف عن الطعام). الشكوى من آلام بالمعدة. صعوبات النوم (الأرق، قلة النوم، كثرة النوم، النوم المتقطع، صعوبة الذهاب إلى الفراش، الاستيقاظ فجأة أثناء النوم)، العصبية. قضم الأظافر. الحركات الجسمية اللاإرادية. سرعة الاستثارة. ثورات الغضب، نقص الرغبة في الذهاب إلى المدرسة. انخفاض مستوى التحصيل الدراسي. نقص الاهتمام بالواجبات المدرسية .. إلخ.

الحماية القانونية للأطفال خلال الاحتلال بين النظرية والتطبيق:

إن القوانين والتشريعات الدولية لحماية الأطفال خلال الاحتلال والحروب والمنازعات كثيرة جدًّا. فمنذ عام ١٩٢٤ قامت الجمعية العامة للأمم المتحدة بتبني إعلان "جنيف" المرتبط بحقوق الطفل؛ وأعدت اتفاقية جنيف لعام ١٩٤٩وتم جمع برتوكولها عام ١٩٧٧. وكانت أحدث النصوص الصادرة في الموضوع هي اتفاقية هيئة الأمم المتحدة المتعلقة بحقوق الطفل والتي تم تبنيها في نيويورك في شهر نوفمبر ١٩٨٩.

غير أنه وبالرغم من وجود هذه النصوص القانونية التي أعدت من قبل المختصين بدقة بالغة؛ فإننا نشهد يوميا، الهوة الشاسعة الفاصلة بين ما هو مسطر وبين ما هو معيش في الواقع، حيث تنتهك حقوق الأطفال من قبل المحتلين دون مانع إنساني رادع قانوني، وعلى مرأى ومسمع كل الشعوب وكل الحكومات.

إن وضع الأطفال في العراق وفي فلسطين لخير دليل على انتهاك القانون الدولي. فالعدوان واستعمال القوة والتلويح بالحرب يعتبر أمرًا يهدد سلامتهم واستقرارهم. وتشير إحصائيات اليونيسيف إلى تعرض ١٣١ طفلا من كل ألف إلى الموت بسبب الحصار. كما يموت كل طفل من بين عشرات أطفال يولدون، بسبب نقص الغذاء والدواء. ويقدر عدد الأطفال الذين ماتوا خلال العشر سنوات الماضية في العراق بحوالي نصف مليون طفل.

إن نقص حاجات النمو الأساسية؛ الجسمية منها والنفسية يشكل كارثة إنسانية. كما تتجلى أبشع المخالفات والانتهاكات الصارخة للقانون الدولي الإنساني، في الممارسات التعسفية، التي تمارسها سلطات الاحتلال الإسرائيلي في الأراضي الفلسطينية المحتلة ضد الأطفال. فهي تعمد إلى قتلهم وجرهم واعتقالهم دون التفريق بينهم وبين البالغين. كما تحرمهم من حقهم المشروع في التعليم بغلق المدارس والجامعات وإبعادهم عن ديارهم وأسرهم بالسجن والاعتقال.

وتشير الإحصائيات إلى أن ٤٠% من المصابين خلال الانتفاضة منذ ٢٩ سبتمبر ٢٠٠٠ من الأطفال دون الثامنه عشر. وبلغت نسبة الشهداء من الأطفال ٢٤.٧% من مجموع الشهداء. وقد قتل الإسرائيليون أزيد من ١٠٥ طفلا في أقل من سنة على قيام الانتفاضة، ومعظمهم كان يلعب في ساحة المنزل عائدًا من المدرسة يمر في الشارع بعيدًا عن ساحة المواجهة. وكلنا يعلم بقصة محمد جمال الدرة الذي استشهد بين ذراع والده.

إن هذه الاعتداءات تمثل انتهاكًا سافرًا للقانون الدولي الإنساني، مما يوجب تجريمها. بل وإنشاء محكمة جنائية دولية تقوم بملاحقة وعقاب الجناة. والسعي في الوقت ذاته إلى إقرار حق الفلسطينيين في تقرير مصيرهم وإقامة دولتهم المستقلة. إن القانون الدولي الإنساني إذن، وإن كان قد وضع القواعد العامة لحماية المدنيين وكذلك القواعد الخاصة بحماية الأطفال وإشباع حاجاتهم النمائية، إلا أن هذا القانون ما زال يعاني من كثير من الانتهاكات لقواعده ومبادئه. فقد تم انتهاك الحق في الحياة والحق في التعليم وغيرها من حقوق المدنيين الأبرياء.

الآثار النفسية للاحتلال على شخصية الأطفال وأسرهم.

إن من الصعوبة بمكان تحديد كل الآثار السلبية التي تنجم عن ضاع الاحتلال وتأثير ذلك في بنية الشخصية وتكوينها خلال سنوات الطفولة. إن ظروف الأمن والاستقرار التي ينبغي أن ينعم بها الآباء والأمهات ويعكسونها على أطفالهم تنعدم في ظل ضاع غير آمنه وغير مستقرة. ولتوضيح الشرخ الذي يصيب شخصية الأطفال تحت الاحتلال نسوق مثال طفلة شهد سلوكها تغيرًا مأزومًا: كانت الطفلة (س) البالغة من العمر (٧ سنوات) تسكن قريبًا من معترك المواجهات بين الإسرائيليين والفلسطينيين منذ انتفاضة الأقصى. وكانت قبل ذلك شخصية محبوبة في البيت والمدرسة. وكانت تلميذة مجتهدة وذكية وتتميز بقدرتها الفائقة على الاعتماد على نفسها. غير أن الأحداث غيرت سلوكها رأسًا على عقب. فقد أصبحت تلتصق بأمها ولا تستطيع فراقها، حتى خلال النوم ليلًا. فقد أصبحت تنام بجانبها، وترفض الذهاب إلى الحمام بمفردها، فلا بد أن تكون الأم قريبة منها وتبقي الباب نصف مفتوح. كانت مولعة بمشاهدة التلفاز قبل الأحداث وأصبحت الآن لا تطيق النظر إليه. وأصيبت بفقدان الشهية وآلام دائمة في البطن، وخصوصًا أثناء القصف، وتشعر بخفقان القلب. وأبدت عزوفًا عن القراءة، وقد كانت من قبل متعتها الأساسية. وأصبحت ترفض اللعب وحدها في غرفتها. وشاهدتها أمها يومًا تلف دميتها في علم فلسطيني؛ وعندما سألتها ماذا تفعلين. أجابت الطفلة إنني أشيع دميتي يا ماما. هذا وقد علقت الأم على حالة ابنتها قائلة : إن محبوبتي الصغيرة تغيرت كثيرًا، وأنا أعمل جاهدة كل وقتي حتى أستطيع أن أعيد إليها ولو جزءًا قليلًا من الأمان الذي فقدته.

إن وضعية الأمهات وأبنائهن خلال الاحتلال وضعية يصعب على القلم وصفها. لنستمع إلى مديرة الأسرة والطفل في وزارة الشؤون الاجتماعية في فلسطين تحكي هذا الواقع المرير الذي تعيشه الأمهات مع أطفالهن :

" لا تتوقف الأمهات كالقطط عن نقل صغارها من مكان إلى آخر، قضت النساء ليلتهن وهن ينقلن أطفالهن من حجرة إلى أخرى بحثًا عن مواضع أكثر أمنًا من بيوتهن".

قال كاظم الطحان البالغ من العمر ٧٠ عامًا واصفًا ليلة طويلة من القصف العنيف الذي تعرض له سكان حي الضاحية من مدينة نابلس: إن أحفاده السبعة عشر، وأغلبيتهم أطفال صغار ، قضوا ليلة مرعبة لم تتوقف أمهاتهم خلالها عن نقلهم من زاوية إلى أخرى لحمايتهم من زخات الرصاص وشظايا عشرات القذائف التي أغرق بها الجنود المتمر كزون على قمة جبل جرزيم، منازل المواطنين على مدار أكثر من ست ساعات متواصلة.

وقال الطحان، وقد غالبه النعاس والإرهاق : " لقد كن ينقلن أطفالهن إلى زاوية يعتقدن أنها في منأى عن خطر الرصاص والقنابل حتى يكتشفن مذعورات خطأ ذلك ويعدن (الصغار) إلى حيث كانوا.. وهكذا طوال ساعات الليل التي لم يذق فيها أي من سكان الحي طعمًا للنوم".

الإرشاد والمساعدة النفسية للأطفال خلال الاحتلال:

إن الاحتلال لا يستدعي مقاومة المحتل المعتدي فحسب، وإنما يقتضي كذلك حربًا ومقاومة أخرى إيجابية وبناءة، تتمثل في إعادة بناء وتشكيل النفوس البشرية، مما يستلزم التسلح بالمعرفة العلمية والعملية معًا خلال ذلك.

إن دراسة الكارثة وتوابعها ومظاهرها تشكل فرعًا من أهم فروع علم النفس المعاصر؛ حيث يتم الاهتمام بأشكال الضغوط النفسية التي تحدثها الأزمة على الصعيدين النفسي والجسدي واستخدام الأساليب المساعدة على التخفيف من مشاعر الضغوط والقلق والهلع الذي يصيب المدنيين، وبخاصة الأطفال والمراهقين، من جراء ظروف الاحتلال والصراعات.

وتجدر الإشارة إلى أنه ينبغي خلال الاحتلال عند وقوع أزمات اجتماعية، توعية أفراد المجتمع، وخاصة منهم، أفراد الأسر، حتى يسهم الجميع في تقديم المساعدة العلاجية للأطفال وقت الحاجة. فالوظيفة النفسية العلاجية في مثل هذه الأزمات لا تقتصر على المعالجين النفسيين، وإنما يمكن أن يساعد في الاضطلاع بها العديد من الأفراد في المجتمع. وبوسعهم القيام بذلك كلما لاحظوا على الأطفال سلوكًا غير عادي؛ كالأرق، أو تشتت الانتباه، أو عدم التركيز، أو القلق والخوف والهلع..إلخ.

ويمكن لأفراد الأسرة الإسهام بوجه خاص في التخفيف من حدة المشاعر، أو الأحاسيس والمخاوف التي تنتاب الطفل، عن طريق منحه فرص التعبير عن ذلك. والتدخل كلما اقتضت الحاجة لتفسير بعض الموقف الصادمة له، بما

يتناسب وفهمه. هذا ويمكن للجد والجدة أن يؤدّيا دورًا أساسيًا في مثل هذه الظروف؛ لأن الأطفال يركنون إلى شروحهما وتفاسيرهما ويثقون فيهما. إن الحديث مع الأطفال له وظيفة إعادة الاطمئنان إليهم. كما يمكن للسيكولوجيين والمعالجين النفسيين الإسهام الفعال والبناء في التخفيف من العديد من الأعراض التي لا ينبغي أن تترسب في أعماق نفسيتهم.

إن ملاحظة تأثير الاحتلال والاعتداء المتسم بالعنف في المدنيين والمستخدم لوسائل القسر المادي البدني على المدنيين الأبرياء وبخاصة الأطفال، لا يحتاج إلى تقنيات علمية متطورة إلى نتائج دراسات إحصائية دقيقة؛ ودون ما حاجة كذلك إلى الأطباء النفسانيين وعلماء النفس وأطباء الأطفال والمدرسين والمساعدين الاجتماعيين. إن الآباء بمفردهم وخلال الاحتكاك اليومي بأبنائهم، بوسعهم أن يلاحظوا التأثير السلبي للاحتلال العسكري على شخصية أبنائهم.
إن نتائج ذلك لا تتعلق فقط بالصدمات الحادة التي تعيشها نسبة محدودة من الأطفال، خلال احتكاكهم بطريقة تتسم بالعنف ومواجهة الموت، وإنما يتعلق الأمر كذلك بالصدمات التي تترتب عن الانفجارات والأصوات المدوية التي تتخلل الحياة اليومية والتي تترسب في نفسية الأطفال، وتسبب لهم القلق والخوف والانزعاج، وتهدد حياتهم ومستقبلهم.
إن علينا أن ندرك بشكل واع وقطعي، أن إعداد النشء وتكوينه التكوين السليم والمتوازن، هو وحده الكفيل بضمان سلامة الحياة المستقبلية على كوكب الأرض، التي حكم علينا جميعا، بالتعايش والتعاون فيها. إن علينا أن نمنح كل أطفال العالم فرصة الحياة السعيدة، حتى يستطيعوا أن يلعبوا دورًا أساسيًا في مجتمع الغد، الذي نطمح إليه جميعًا، كبديل لخيبة الآمال التي تحل النزاعات والخلافات ترسيخها في نفوسنا.
إن مستقبل الإنسانية ينبغي أن يكون موضوع تفكير وحكمة وتأمل في عقول العقلاء، وليس بين أيدي السفهاء والمرضى العصابيين، الذين تتشفى نفوسهم المريضة، خلال رؤيتهم وإقحامهم للأبرياء من الناس صغارًا وكبارًا، في دوامة من العنف والنزاعات والصراعات التي لا تعمل سوى على تسميم النفوس وتلويث كوكبنا الأرضي، الذي ينبغي في مقابل ذلك، أن تتضافر جهود سكانه - بصرف النظر عن العنصر أو الجنس-على التعاون والتآخي والمحبة، لتحقيق الحياة الآمنة والهادئة على سطحه الجميل والساحر، بعيدًا عن الصراع والحقد والضغائن المفسدة لنفس الإنسان ولنظرته ولروحه الإلهية الخيرة والطيبة.

قائمة المراجع

أولًا: الكتب العربية:

١. أحمد ماهر وآخرون ، الإدارة المبادئ والمهارات ، الدار الجامعية ، مصر ٢٠٠٢/٢٠٠١.
٢. أحمد محمد رفعت، القانون الدولي العام، ١٩٩٩م.
٣. اكرم الديري، الجيش وتاثيراته في سياسة الدولة الإسلامية ،دار الكتاب الثقافي ،اربد ، ٢٠٠٣.
٤. بدرية عبد الله العوضي، القانون الدولي العام في وقت السلم والحرب، وتطبيقه على دولة الكويت، ١٩٨٧م.
٥. بيتر دراكر، الإدارة – المدير ، ترجمة محمد عبد الكريم ، مراجعه ناديه الهادي ، الدار الدولية لنشر والتوزيع ، القاهرة ، ١٩٩٥.
٦. ثابت عبد الرحمن إدريس ،جمال الدين محمد المرسي ، الإدارة الإستراتيجية، مفاهيم ونماذج تطبيقية ، الدار الجامعية ، القاهرة ،٢٠٠٣/٢٠٠٢.
٧. جميل كاظم ألمناف ، القيادة والأزمة الحضارية ، دار الرشيد ، بغداد ، ١٩٨٠.
٨. زهاء الدين عبيدات ،القيادة والإدارة التربوية في الإسلام ، دار البيارق ، عمان ، ٢٠٠١.
٩. سعيد حوى ، الرسول (ص) ، ط٢، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٧١.
١٠. صامويل هيز، وليم توماس ، تولي القيادة ، فن القيادة العسكرية وعلمها ،ترجمه سامي هاشم ،المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ، ١٩٨٤.
١١. طارق الخير وآخرون ، مبادئ الإدارة ووظائفها ، جامعة دمشق ، ٢٠٠٤.
١٢. عبد الكريم درويش وليلى تكلا ، أصول الإدارة ألعامه، مكتبة الانجلو مصريه، القاهرة ، ١٩٧٧.
١٣. عبد المعطي محمد عساف، مبادئ الإدارة ،المفاهيم والاتجاهات الحديثة، مكتبة المحتسب، عمان، ١٩٩٤.
١٤. عبد السلام أبو قحف ،أساسيات التنظيم والإدارة ، دار الجامعه الجديدة ، الإسكندرية ،٢٠٠٣.
١٥. عبد السلام ابو قحف ، أساسيات الإدارة الإستراتيجية ، الدار الجامعية القاهرة ، ٢٠٠٢.
١٦. علي عباس ،عبد الله بركات، مدخل إلى علم الإدارة، دار النظم ، عمان، ٢٠٠٠.
١٧. فيصل فخري مرار ، الإدارة (الأسس والنظريات) ، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع ، عمان ، ١٩٨٣.

١٨. محمد رفعت عبد الوهاب ، الأنظمة السياسية ، منشورات الحلبي الثقافية ، بيروت ، ٢٠٠٤.
١٩. محمد عبد الفتاح ياغي ، الأخلاقيات في الإدارة ، عمان ، ١٩٩٥.
٢٠. محمد جمال الدين محفوظ ، المدخل إلى العقيدة والإستراتيجية العسكريه الإسلامية ، الدار ألمصرية للكتاب ، القاهرة ، ١٩٧٦.
٢١. مهدي حسن زويلف ، محمد قاسم القريوتي، مبادئ الإدارة نظريات ووظائف، عمان ،١٩٨٤.
٢٢. مهدي الحسيني ، مسئوليات القيادة الإسلامية ، دار المشرق العربي الكبير ، لبنان ، ١٩٧٨ م.
٢٣. نزار النعيمي ، الجيش وتأثيراته في سياسة الدولة الإسلامية ، دار الكتاب الثقافي ، أربد ،٢٠٠٣.
٢٤. نواف كنعان ، القيادة الإدارية ، دار العلوم ، الرياض ، ١٩٨٠م.
٢٥. هايل عبد المولى طشطوش، أساسيات في القيادة والإدارة، النموذج الإسلامي في القيادة والإدارة، دار الكندي،الأردن، ط١، ٢٠٠٨م.

ثانيًا: الكتب الأجنبية:

26. Leonard R.Sayles , *Leadership, What Effective Managers really Do? ….And How They Do It*، 1979 ,by McGraw ,Hill .Inc.

27. Harold Knooz & Heinz Weihrich, *Essentials Of Management*, 5thed,McGraw- Hill Publishing Company Limited, New Delhi ،

28.George K. Terry &Stephen G Franklin , *Principle Of Management* ،8th ed,publishers& Distributors, Krishan Nager,1991.

29. Richard l. Daft , *Management,* Dryden Press , 2000 .

30. Stephen Robbins & Mary coulter ، *management* ، prentice – hall of India private limited ، new Delhi ،1998 .